بمناسبة ذكرى جلوس جلالة الملك المعظم
عدد خاص

توزيع
مكتبة الوساطة
المدينة المنورة باب الطاهر

أخذ القطار يدرج على قضبان السكة التي تم مدها للمدينة المنورة وكان يشق طريقه بين صفين من الاجساد البشرية المتلاصقة وفي غمرة الفرحة بوصوله نسي الناس كل المتاعب التي عانوها في سبيل تحقيق قدومه العزيز وترحموا على تلك الارواح الغالية التي ذهبت ضحية تحقيق الفكرة ٠٠ وكانت الهتافات المتداخلة مع صليل (عجلات) القطار الزاحفة فوق القضبان تكون ضجيجا يشبه موسيقى صاخبة حتى ليكاد يحسب السامع ان زفرات القطار الرتيبة انما هي قرع الراقصين للأرض بأقدامهم في حركات عنيفة ارتجفت الساحة من وقعها ٠

واخيرا رمى القطار عصى السير والترحال عند تلك الساحة المعدة للمستقبلين من علية القوم ، ثم ما لبث أن انفتح باب احدى عرباته حيث غادرها ثلاثة من البشوات وهم كاظم وسعيد وعبد الله وهبط من القطار في أثرهم جمع كبير من الشخصيات القادمة خصيصا لحضور حفلة الافتتاح وبين حفاوة المستقبلين وتحيات الواردين انطلقت كلمات يحيى دفتر دار كبير خطباء المسجد النبوي قوية رصينة وكأن مقاطعها رموز سحرية الجمت ذاك الهدير المجلجل فاذا بالجموع مطرقة منصتة تخال على رؤوسهم الطير يستوعبون معاني كلامه وهو يحمد الله ويشكره على منه واتمام نعمته بتحقيق القسط الاول من هذا الامر الذي يهم كل مسلم داعيا المولى جل وعلا أن يهيىء للمسلمين ما فيه الخير والصلاح لها ، والناس يؤمنون وبعد اختتام كلامه طلب كاظم باشا من محافظ المدينة عثمان باشا ارجاء حفل الافتتاح لصباح اليوم الثاني وبينما كان يفهم المحافظ الأسباب وهي أن بعض الوفود قادمة في قطار الغد كما أن (بدلة) التشريفات الخاصة محمولة فيه ٠

بينما كان ذلك سمعت صيحة رجل تدوي ٠٠ الله أكبر :

الله أكبر نور الشرق قد ظهرا   فابصر الغرب هذا النور فانبهرا
نور النبوة في نور الشريعة في   نور الخلافة في نور الهدى انتشرا
اغنى الخليفة عن جثي يعبئه   وعن براكين ولكن تقذف شررا
لبيك ٠٠ لبيك يا مجد العروبة قد   لباك غائبة قبل الذي حضرا

ومضى في القاء قصيدة خلبت الألباب فشخصت الابصار نحو المنشد تدقق النظر لمعرفة شخصه حتى جذبها اليه رجل آخر اتخذ من القطار منبرا وجار ٠٠ (حريت عدالت مساوات أخوت) ثم أخرج من جيبه جرنالا قرأ منه كلاما عن اعلان ذلك الامر ومزاياه ٠ ورغم أن الناس لديهم فكرة عما ذكر ورغم أنه كان مكتوبا على أقواس النصر بالاضافة الى أنهم يوم خرجوا الى (مخيط) القريب من المدينة للاحتفال بوصول القطار اليه ٠

وفي ذلك اليوم عرفوا كل شيء عن اعلان الحرية ٠ عرفوه من الجند الذين قابلوهم بالتهاني واخذوا يثبتون على صدورهم الأشرطة التي تحمل شعار الحرية ٠٠ وفي ذلك اليوم عرفوا أيضا كيف كان يسير العمل بهمة لا يحطمها عائق الامر الذي دفع كل فرد – على اختلاف الطبقات أن يأخذ قفة يعبئها بالتراب وينصرف لمساعدة (الترابية) ٠ أولئك (الترابية) الذين يسوون الارض فيردمون وُهدها ويشقون نهدها ماضين في مهمتهم وآخرون من ورائهم يمدون القضبان الحديدية على القواعد العريضة المصفوفة كأسنان المشط ثم تشد اليها القضبان بالمسامير اللولبية المحكمة الربط والقطار يطوي كل ذلك ببطء متابعا العمال وكأنه يستحثهم على انجاز العمل

معذرة يا عزيزي القارىء

انصرفت لأصور لك سير العمل وتركتك حيث اعتلا رجل القطار ليتخذ منه منبرا ألقى من فوقه ذلك الكلام الذي عرفته وأريد أن أقول ٠٠ لك انه بالرغم من علم الناس بذلك الامر ٠ رغم هذا ظهرت علامات الغضب على وجه محافظ المدينة ونهر ذلك الوافد جديدا للمدينة بقوله (ص ص) فأجابه القادم بمثل لهجته : (سان صص) أي (أنت اسكت) فما كان من المحافظ الا أن طاطا

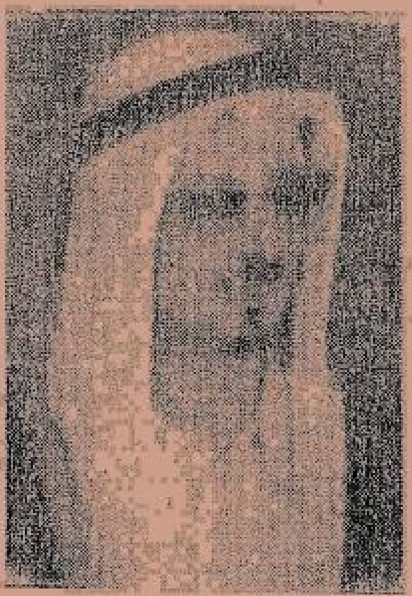

رأسه وانصرف « لفيلونه » حيث استقله وغادر المحطة ٠

وفي تلك اللحظة عند غروب شمس يوم ٢٥ رجب سنة ٢٦ صاحبت الشمس عند غروبها النيل ميزة كان المدنيون يتحلون بها ٠

تلك الميزة التي كانت تجعل كل امرىء يعرف حده ويقف عنده وانطوت ليلة السادس والعشرين

الوفد الحجازى الذى ذهب الى معان للاحتفال بوصـــول الخط الحديدى الى هناك سنة ١٣٢٢

من رجب طاوية معها ذلك الماضى فأصبح الناس غير الناس وانطلقوا الى مكان الحفل للاستماع لخطب الخطباء وقصائد الشعراء ومشاهدة كاظم باشا فى (بدلة) التشريفات الخاصة ٠

واكتظ المكان بالمشاهدين حيث وجدوا هناك عددا من الخطباء والشعراء منهم المدنيين والزائرين

استمعوا لخطبة السيد احمد صقر وقصيدة عمر كردى ثم قصــــيدة الطيب العقبى التى استهلها منشدا :

حيى المدينة ما دامت تحيينـــا   وانهض بشعب قضى فى نومه حينا

ثم تكلم من الزوار يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد وتلاه على فهمى كامل فالقى كلمة أخيـــه مصطفى كامل الذى اخترمتــــه المنية قبل ان يكتحل بصره بمرأى القطار فى المدينة المنورة فرثاه شوقى بقصيدته المشهورة :

المشرقان عليـــــك ينتحبـان   قاصيهمـــا فى مأتم والدانى
يا خادم الاسلام أجـــر مجاهد   فى الله من خلد ومن رضـوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الأسى   فى الزائرين وروع الحـــرمان
السكة الكبرى حيال رباهمـــا   منكوسة الاعـــلام والقضبان
لم تألها عنـد الشدائد خدمة   فى الله والمختـــار والسلطان
يا ابيت مـــكة والمدينـــة فازتا   فى المحفلين بصـــوتك الرنان
ليرى الاواخر يوم ذاك ويعلموا   ما فات عن قس وعن سحبان

واذا كان الناس قد استمعوا الخطب الخطباء وشعر الشعراء الا أن طابع ذا الجمع كان يختلف كثيرا عن طابعهم فى اليوم السابق ذلك لأن الهرج والتشويش والنقد الوقح كانوا يكونون غمغمة من العسير تفهمها وان كانت كلمة (مستبد) ـ التى أخذت تلوكها الألسن ـ توضـح بعض نبرات تلك الغمغمة التى جعلت الوجوم يطغى على نفر من أولئك النـاس حتى كادا التفكير العميق يصرفهم عن الحفل وعن كل شىء عـــدى التعمق فى استنتاج ما يخبئـه الغيب غير واحد منهم لـم يكن منصرفا لـما انصرفوا اليه بل كان بصره عالقا بباب عربة من عربات القطار يراقبه بدقة صرفتـــه عن كل شىء حوله فلما انفتح الباب ومر منه رجل فى زى رســـمى اتجه نحوه وحياه ٠ ويظهـر أن ذلك الرجل المرتدى للمـــلابس الرسمية انما هو سائق القطـار لأن رفيقنا السابق بادره بعـــد التحية بقوله ٠٠ لقد وعدتنى ليلة البـــارحة أن تجيب على أسئلتى بخصوص أبعاد المحطات وعددها والاوقات التى تنصرم عند قطـع ما بين كل محطتين فأجابه الرجل نعم ٠ نعم ٠ سأحدثك عن كل شىء هيا بنا بعيدا عن هـــذه الغوغاء ٠

وفى الوقت الذى أخذ الناس ينصرفون فيه من المحطـة كان رفيقنا يدون ما يمليه عليه سائق القطار ٠

فى ذلك المكان الهادىء سـأل سائق القطار رفيقه عن اســـمه وغرضه من معرفة المعلومات التى الح عليه فى اليوم الســـــابق مستفسرا عنها وقد أجابه رفيقه بكل صراحة ٠٠

اسمى محمد بروبى وعمـــلى مهنـــدس فى عشـــــة المحتسب وأصلى تركى صـــميم وارغب فى هذه المعلومات لاضيف بعضها الى خارطة رسمتها فى العام المضى وقد وضعت لها جدولا يبين عدد دقائق السير بين محطة وأخرى كما يبين المسافة بالكيلو بين هذه وتلك وقد ظل الجدول خال من الدقائق ولهذا تجدنى حريصـــا فى أخذ المعلومات منك لاضـــافة ما يلزم منها للجدول المذكـــور بصفتك سائق القطـار وبصفتك كنت تسير بقطارك مـــع العمل خطوة خطوة ولهذا فانت أفضـــل من يسأل فى هذا المجال ٠

عند ذلك اشرق وجه السائق وقال لمحدثه محمـــــد بروبى ٠٠ مادام الامر كـــذلك فلك ماشئت واسأل عما بدا لك واعتـــــدل محمد بروبى وأخرج ورقة كانت مطوية فى جيبه كما اخرج من جيب بنطلونه أمبوبة من الصفر غـــير أنها مبططة قد تثبتت فى أحـــد طرفيها من الجانب دواة أما الطرف الثانى فهو غطاء بمفصلين فعالج الغطاء وأخـــرج منـــه قلما من البوص فغمس طرفه المدبب فى المداد الذى بالدواة بينمـــا غمغم يقول :

لقد ذهب وفد من الحجاز فى عام ١٣٢٢ الى معان للاحتفـــال بوصول الخط الحديدى الى هناك وقد علمت حينذاك أن عــــــدد المحطات من دمشق الى معان تسع محطات فهل هذا صحيح

ج ـ نعـــم وهى دمشـــق ٠ مزيريب ٠ مفرق ٠ الزرقة ٠ بلقا ٠ قطرانه ٠ حسا ٠ عنزه ٠ معان

س ـ وهل المسافة بين دمشق ومعان ٤٤٧ كيلو متر

ج نعم بالضبط فهى من دمشق الى مزيريب ١٠٨ كيلو ثم ٥٣ ثم ٣٦ ثم ٦٠ ثم ٦٠ ايضا ثم ٤٨ ثم ٤٤ ثم ٢٦ ٠

ولما دون محمد بروبى هـــذه الارقام وجمعها وجدها ٤٤٥ كيلو فقط فلفت نظر السائق الى نقص هذين الكيلوين فأجابه السائق

الشيخ الطيب العقبي

بأن الارقام تبدأ من كل محطة الى المحطة التى تليها ثم تبدأ ثانية ودواليك ويثبت على كل لوحة الرقم المستمر من البداية وتجنه الرقم المبتدىء من المحطة وعليه فان مجموع المسافة بين دمشق الى معان هى ٤٤٧ كيلو أما عندما تجمع المسافات التى بين المحطات فانها عند ذلك تنقص عدد من الكيلوات لانها تضيع فى المحطات .

ضحك محمد بروبى للنكتة واثبت كل ما سمعه من السائق ثم أردف وما هو الوقت الذى يقطع فيه القطار تلك المسافات فأجابه السائق ٢٧ ساعة من دمشق الى مزيريب ثم ١٣ ثم ٩ ثم ١٥ ثم ١٥ ثم ١٢ ثم ١١ ثم ٩ وبعد أن أجرى المهندس عملية حسابية صغيرة قال للسائق اذن فالقطار يسير بسرعة ٤ كيلو فى الساعة — نعم ومن الممكن زيادة السرعة فى الحالات الضرورية وان كان ذلك غير مأمون .

قال .. محمد بروبى وما هو عدد المحطات من العقبة التى تلى معان الى المدينة فاجابه ٢٢ وهى العقبة . المدورة . ذات الحاج . تبوك . العاص . . مغيره . دار الخضرة . صالى . المعظم . دار الحصر . شق العجوز . مداين صالح . ابير الغنم . زمرد . بير المجدد . بير الراية . هدية . اسطبل عنتر . أبيار نصيف . أبو جابر . بير عثمان . المدينة المنورة .

فسأله محمد بروبى وماهى المسافة من معان للمدينة فاجابه السائق . ان المسافة من دمشق للمدينة ١٣٠٠ كيلو فاذا طرحت منها ٤٤٧ وهى التى بين معان ودمشق تظهر لك النتيجة وهى ٨٥٣ كيلو .

فسأل المهندس قائلا وهل انت متأكد أن القطار يسير بسرعة ٤ كيلو فى الساعة فأجابه السائق ان المسافة بين بئر عثمان المدينة هى ٤ كيلو وقد قطعناها فى ساعة كاملة بالضبط .

وسأله المهندس وهل هذه المسافة كلها قطعتها قاطرتك هذه وما مللت من قيادتها .

فتبسم السائق وقال .. انك ياسيدى المهندس فى حاجة لبعض المعلومات ولن أبخل بها عليك اترك أسئلتك وسأشبع نهمك .

أفهمك ان القطار الذى يتحرك من المدينة يتوقف فى مدائن صالح حيث تفصل المكنة من الفراقين وتتقدم مكنة أخرى بكامل موظفيها حيث يتم ربطها بالعربات لتسحبها من مدائن صالح الى تبوك ثم تفصل الفراقين وتربط فى مكنة أخرى لتقودها الى معان ثم يتم فصل آخر وتسحب الفراقين بمكنة اخرى من درعه الى دمشق وهى نهاية الخط الحجرى أما الذين يرغبون السفر الى ابعد من ذلك فان عليهم الانتقال الى عربات أخرى تسير على خط دولى أعرض من هذا الخط لان عرضه ٤٣ ½ نتيم ويكون فى المنحنيات ٤٤ ثم أردف السائق انني أراك تهم بطرح أسئلة أخرى ولهذا أطلب منك الصمت التام ذلك لانني سأحدثك بكل مايجول بخاطرك . واليك .. ان المحطات الاربعة التى يتم فيها تبديل المكنة يشغل كلا منها مفتش ومأمور استسيون ومأمور تلغراف وطبيب واربعة مقصجية وموظف للاضاءة ومهندسين مكنيكيين و(خراطان) واربعة برادين وحداد وسباك و (طرمبجى) عامل للطرمبة — ومأمور للمستودع وكاتبان ومنورجى أى رئيس المقصجية .

وأما المحطات الصغيرة الاخرى فتقتصر على مأمور للمحطة ومقصجى واذا كانت بها طرمبة يخصص لها موظف .

كما أن لكل قطار موظفيه وهم سائق وموقد ومريت ومأمور القطار وفى كل فرقون موظف مختص بالفرملة وافيدك تكاليف العمل بلغت ٣ ملايين جنيها ذهبا أحمرا عثمانيا أى ١١٥ الف أقة ذهب واقتين الا ثمن وقد تبرع المسلمون بثلثها واؤكد لك ان العرب سيخربونها .

لأنهم قالوا .. (ربنا باعد بين أسفارنا) .

محجوب علي سائق القطار رقم ١٠٥